الباب الثالث

التمرد على الزواج والأسرة

مقدمة الباب

الفصل التاسع: الإباحية الجنسية وهدم الزواج

الفصل العاشر: التمرد على الزواج الرسمى

الفصل الحادى عشر: مناهضة الأسرة التقليدية

obeikandl.com

مقدمة الباب

تمرد كثير من الرجال والنساء في المجتمعات الغربية على الزواج والأسرة التقليدية، وعدُّوهما أسلوبين تقليديين متخلفين، لا يناسبان الإنسان الحديث، لما فيهما من قيود والتزامات تتعارض مع الحرية الشخصية، والاستقلالية والفردية، التى تقوم عليها الحياة العصرية. وظهرت فروع فى علوم النفس والتربية والاجتماع، تبحث في تطوير الزواج وأساليبه، للتخلص من الأسرة التقليدية أو تطويرها، أو بناء أنظمة أسرية جديدة مناسبة للحياة العصرية الحديثة.

وانبرى بعض الفلاسفة والأدباء وعلماء النفس الأسرى والاجتماع العائلى والطب النفسى فى الغرب، ينتقدون الأسس أو المبادئ التى يقوم عليها الزواج الرسمى والأسرة التقليدية، ويدعون إلى أساليب عصرية فى الزواج والحياة الأسرية، يحسبون أنها أفضل من الزواج الرسمى والأسرة التقليدية فى تحقيق حرية الرجل والمرأة، واحترام فرديتهما وإرادتهما، وإشباع حاجاتهما، وتنمية صحتهما النفسية، ووقايتهما من الانحراف والأمراض.

وقدأخذ التمرد على الزواج والأسرة فى الغرب أربعة مظاهر رئيسة هى: الإباحية الجنسية، والتمرد على الزواج الرسمى، ومناهضة الأسرة التقليدية، واختراع نظم أسرية حديثة.

وقد لا يعنينا ما يحدث من تمرد على الزواج والأسرة فى الغرب أو الشرق، لولا ما نجده من غزو فكرى وثقافى للمجتمعات الإسلامية فى

obeikandl.com

عالم العولمة والفضائيات، وابتعاث كثير من الشباب العرب والمسلمين لدراسة علم النفس الأسرى وعلم الاجتماع العائلى فى أوربا وأمريكا، والذين تتلمذوا على أيدى علماء النفس والاجتماع فى الغرب، وتأثر بعضهم -أى بعض التلاميذ- بالنظرة الغربية إلى الزواج والأسرة، وانبهروا بدعوة الحركات النسائية إلى المساواة بين الجنسين، وتحرير المرأة من الأعمال المنزلية، وتربية الأطفال وقوامة الرجل، وأعجبوا بدعوة هذه الحركات إلى حرية المرأة فى الحمل والإجهاض وبناء أسرة لنفسها.

وظهر تأثير الأساتذة على التلاميذ، فيما كتبه بعض علماء العرب وأدبائهم ومفكريهم من مقالات وكتب، تؤيد الحادث فى الغرب من حرية فى العلاقة بين الجنسين، وكأنها فتح كبير فى مجال التوافق النفسى والاجتماعى والصحة النفسية والسلامة الاجتماعية. من ذلك ما كتبه زكى مبارك من باريس إلى أحمد الصاوى فى القاهرة يقول: «فى باريس لا يسمح بإزعاج العشاق، وظل الفتى يقبل الفتاة، وكأننا لسنا هنا، وكأنهما ليسا هناك.. لا تحسب أن هذا فسق، فقد يكون هذا العناق مقدمة زواج. اطمئن فأنا أعتقد أن هذا الغزل المكشوف، أسلم وأشرف من تلك السرائر المظلمة والقلوب السود، التى تنطوى عليها الجوانح القذرة الفجرة، ممن يدعون الفضيلة».

وكتب محمد حسين هيكل عن الثورة الفرنسية، التى جعلت بين الرجل والمرأة من المساواة والإخاء ما جعلهما يتبادلان العواطف والمنافع، كما يتبادلها رجلان، وما دامت الحرية الحقة تفترض فى الناس الطهر والبراءة، فليكن النظر العام للقبلات، إنها قبلات إنسانية كقبلة الأخ لأخته (الألبانى، ١٩٧٥: ٢٥٣).

وكتب قاسم أمين « الرجل فى الغرب يرى أن زوجته لها الحق فى أن تعيش بالطريقة التى تراها مستحسنة فى نظرها، وأن تصاحب من الرجال ما يروق لها، والمرأة ترى أن زوجها له الحق فى أن يعيش الحياة التى يراها مستحسنة فى نظره، وأن يُصاحب من النساء كما يشاء. ومع هذا تجد نظام بيوت الغربيين قائمة على قواعد متينة، ونرى هذه الأمم فى نمو مستمر (أمين، ١٩٩٣ : ٥٠).

نجد فى هذه النماذج الثلاثة أن أصحابها أعجبوا بالحرية التى حصلت عليها المرأة، لاسيما فى الاختلاط بالرجال، وتبادل العواطف والحب والقبلات بين الجنسين من دون زواج، وعدّوها علامات على التقدم والتحضر، وعوامل استقرار فى الأسرة، ونجاح فى الحياة الزوجية، ودعوا إلى الأخذ بها في مجتمعاتنا، لكى تنهض مثلما نهضوا، وتتقدم مثلما تقدموا.

ولا يزال هذا التأثير واضحًا فى المؤتمرات والندوات حول الأسرة والمرأة والزواج، التى تعقد تحت رعاية الأمم المتحدة والجامعة العربية والجمعيات المحلية، ومن أبرزها ضغوط دعاة تحرير المرأة فى مؤتمر بكين سنة ١٩٩٤ لتمرير مشاريعهم فى إباحة الإجهاض، والجنسية المثلية، وتخليص المرأة من دورها التقليدى فى الأعمال المنزلية وتربية الأطفال، لكن معارضة الدول العربية والإسلامية ومساندة الفاتيكان لها أسقطت هذه المشاريع، التى كان ظاهرها حرية المرأة، وباطنها هدم الزواج الشرعى، والقضاء على الأسرة التقليدية.

وقد نجد فى مجتمعاتنا العربية مَنْ يدخل جحر الضب وراء علماء الغرب فى التشكيك فى الركائز التى تقوم عليها الأسرة المسلمة وهى

الزواج الشرعى، وتقسيم العمل وفق الجنس، والأدوار التقليدية لكل من الرجل والمرأة فى الأسرة، ويدعو إلى تعديل هذه الركائز أو تطويرها، زاعمًا أن لهذه الدعوة أسسها العلمية، وتطبيقاتها العملية، فى تنمية الصحة النفسية وتقوية العلاقات الاجتماعية، وعلاج المشكلات النفسية والاجتماعية فى الأسرة والمجتمع.

ونجد فيما كتبه قاسم أمين فى كتابه «المرأة الجديدة» سنة ١٩٠٠ نموذجًا للدعوة إلى تحرير المرأة المسلمة، لتكون مثل المرأة فى الغرب فى التعليم والسفور والعمل، والمساواة مع الرجل، والاستقلال بشخصيتها.

فمع أن قاسم أمين صاحب دور كبير فى حركة التنوير، والدعوة لتعليم المرأة المصرية، وخروجها للعمل، ودعم دورها التقليدى فى الأسرة وفى الرعاية والأعمال المنزلية وتربية الأولاد، ومع أنه كان من المؤيدين للأسرة والزواج الشرعى، لكنه دخل جحر الضب وراء الشيوعيين وزعماء ثورة الجنس وحركات تحرير المرأة فى الغرب، فى الإباحة الجنسية، والتمرد على الزواج، وهدم الأسرة التقليدية. صحيح لم يدع قاسم أمين إلى شىء من هذا القبيل، لكنه انتقد الأسرة المصرية بالانتقادات نفسها التى قامت عليها الدعوة لهدم الأسرة التقليدية، فَعَدَّ الأسرة سجنا تسجن فيه المرأة لحساب الرجل، وافترض الصراع بين الجنسين، واستغلال الرجل للمرأة، وظلمه لها، وسيطرته عليها، وتسخيرها فى الأسرة من أجل خدمته واستمتاعه الجنسى، وكأن الرجل والمرأة فى مصر عنصران متنافران لا يربط بينهما إلا الجنس والشهوة، فقال: «الناظر فى أحوال هيئتنا الاجتماعية، يرى أن الرجل والمرأة هما

خصمان لا يتفقان إلا فى لحظات قليلة، وأنهما يتحاربان آناء الليل وأطراف النهار، يريد الرجل أن ينتهز ضعف المرأة وجهلها، ليجردها عن كل ما تملك، ويستأثر وحده بالمنافع، وتجتهد المرأة على قدر إمكانها فى الدفاع عن نفسها، ولا تجد إلى ذلك سبيلا » (ص ٥٧).

وأشار قاسم أمين إلى أن المرأة المصرية من وقت ولادتها إلى يوم مماتها، وهى رقيقة عند الرجل، لأنها لا تعيش بنفسها ولنفسها، وإنما تعيش بالرجل وللرجل، الذى لا يحترمها، ويستخف بها، ويحجر عليها، ويلزمها بالحجاب، ويخصصها لوظيفة واحدة، وهى أن تمتعه بجسمها، ويحبسها فى مسكنه، حتى لا يكون لأحد غيره حظ فى أن يتمتع بها، ولو بالنظر أو الحديث (ص ٣٤).

ولا ينكر قاسم أمين أن بعض الرجال المصريين يهتمون بزوجاتهم، ويُلبون طلباتهن، ويجعلونهن سيدات بيوتهن، ويسعون لاستجلاب رضاهن، لكن ليس هذا عاما عند جميع الرجال، وليس ناشئا عن احترام الرجل للمرأة، واعتقاده باستحقاقها لهذه المعاملة، بما لها من العقل والأدب، وما كسبته من حق الصحبة الناشئ عن عقد الزواج، وإنما يرفع الرجل زوجته أحيانا إلى تلك المنزلة، إفراطا فى الشهوة، وبراعة منه في ضروب الاحتيال، فهى سيدته ما تعلقت بها شهوته، فإذا خمدت نيران الشهوة، وعاد ما بينهما إلى المعروف مما بين الرجل وزوجته، وسقطت المرأة من أوج عزتها إلى حضيض الذلة، ولبست لباس الاسترقاق » (ص٣٤).

ونسوق القصة التالية لكى يحدد القارئ موقفه من افتراض قاسم أمين أن الشهوة هى التى تحرك الرجل المصرى نحو المرأة، فقد نشر

عبدالوهاب مطاوع فى بريد الجمعة بجريدة الأهرام المصرية فى ١٦/٧/٢٠٠٤ قصة نلخصها في الآتى: بدأت قصتى عندما تزوجتُ فتاة جميلة، حسنة الخلق والأخلاق، وأنجبت منها ولدين وبنتا، ومنذ عشر سنوات تقريبا أصيبت زوجتى الحبيبة بالمرض اللعين، وبدأنا المشوار بالعلاج الجراحى باستئصال الثدى، ثم العلاج الكيماوى الذى لم يجد، حيث انتشر المرض للأسف بالمخ ثم الرئة اليسرى، فقمت بتسوية معاشى مبكرا وتفرغت لرعاية زوجتى وخدمتها فى مرضها.

ولا أستطيع مهما قلت أن أصف لك مدى عذابها وآلامها، ومدى عذابى معها، وأنا أتمزق من أجلها، بالرغم من أنها كانت تحاول إخفاء آلامها عنى وعن الأبناء. ومنذ ثلاث سنوات فاضت روحها الطاهرة بين يدى، ورحل عن الحياة توأم روحى وعقلى، ومهجة قلبى، وحاولت أن أتماسك من أجل ابنتى التى بقيت معى بعد زواج أخويها، وكانت فى نهاية العام قبل الأخير فى إحدى كليات القمة، وكنت أرعاها وأخدمها، وأوفر لها الرعاية اللازمة، لأعوضها عن فقد والدتها، حتى تخرجت وتزوجت».

فأين الشهوة التى تحرك هذا الرجل نحو المرأة: زوجة وابنته؟. وأين استعباد الرجل للمرأة فى هذه القصة؟ إن حب الرجل لزوجته وابنته، الذى يتمثل فى عاطفتى الزوجية والأبوة، هو الذى دفعه ليتفرغ لخدمة زوجته المريضة ورعايتها، ثم لخدمة ابنته ورعايتها، حتى تخرجت من الجامعة وتزوجت. ومثل هذا الرجل أزواج وآباء كثيرون فى مصر، وفي غيرها من البلاد الإسلامية.

ومع إيماننا بدعوة قاسم أمين إلى تعليم المرأة، ومساواتها بالرجل، ورفع الظلم عنها من بعض الآباء والإخوة والأزواج الجاهلين بأمور دينهم، الظالمين لأنفسهم وأهليهم. ومع إعجابنا بما كتبه دفاعاً عن حقوق المرأة، ودورها فى رعاية الأسرة وتربية الأبناء، فقد ذهب إلى أن «أحسن خدمة تؤديها المرأة للمجتمع هى أن تتزوج وتربى أولادها، وترعى زوجها. هذه قضية بديهية» (ص ٦٤). ومع كل هذا الإعجاب والتقدير لما كتبه، فإن تأثر قاسم أمين بالثقافة الغربية وانبهاره بها، جعله يؤيد سفور النساء، ويرفض حجاب المرأة المسلمة، حيث ذهب إلى أن «إلزام المرأة بالحجاب أقسى وأفظع أشكال استعبادها (ص ٣٤) لأنه يحرمها من حريتها الفطرية، ويعوقها عن كسب معاشها عند الضرورة، ويحرم الزوجين لذة الحياة العقلية والأدبية، ولا يصلح معه وجود أمهات قادرات على تربية أولادهن، وبه –أى الحجاب– تكون الأمة كإنسان أصيب بالشلل فى أحد شقيه.. لذا كانت الخطوة الأولى فى سبيل حرية المرأةهو تمزيق الحجاب ومحو آثاره» (ص٤٨).

هذا الاستنتاج الذى توصل إليه قاسم أمين حول علاقة الحجاب بتخلف المرأة فى مصر، ليس له أساس علمى ولا عملى، لأن حرية المرأة وتطورها لا يرتبطان بسفورها ولا بحجابها، وإنما بعلمها وعملها، ودورها فى الحياة، وحصولها على حقوقها. كما أن تفوق كثير من النساء المحجبات فى مصر وفى كثير من الدول العربية والإسلامية فى التعليم والعمل في القرن العشرين، دليل على أن حجاب المرأة واحتشامها لا يمنعها من التقدم والارتقاء، ولا يعوقها عن تعلم أدوارها المختلفة فى الحياة، والتى دعا قاسم أمين نفسه إلى تربية المرأة المصرية

عليها. فالمرأة المحجبة أو السافرة تستطيع تعلم واجباتها نحو نفسها وأسرتها ومجتمعها، إذا وجدت التعليم الجيد، وتبوأت مكانتها فى المجتمع، ووجدت الظروف المناسبة لتتحمل مسئولياتها فى الأسرة، والمجتمع. ونحن نؤمن مع قاسم أمين أن المرأة «قوام الأسرة»، والأسرة قوام المجتمع، ولن يتطور المجتمع إلا بالنهوض بالمرأة، ومساواتها بالرجل، وحصولها على حقوقها كاملة غير منقوصة.

ونخلص من مناقشة ما كتبه قاسم أمين عن المرأة الجديدة إلى الآتى:

١- كان قاسم أمين مؤيداً للزواج والأسرة، ودور المرأة التقليدى فيها، ورافضا للإباحية الجنسية، وداعما لدور المرأة فى الأمومة والأعمال المنزلية والزواج والإنجاب، وعدّه دورها الرئيسى فى الحياة.

٢- انبهار قاسم أمين بالثقافة الغربية، وبما وصلت إليه المرأة من حرية، جعله يدعو إلى تطبيق النموذج الغربى فى حياتنا الاجتماعية دون تمحيص، ودافع عن هذا النموذج أكثر من الغربيين أنفسهم، مدعياً نجاحه في تحقيق الاستقرار الأسرى، دون أن يقدم دليلا علميا أو عمليا على صحة ادعائه. ونعتقد أنه لو عاش قاسم أمين حتى شاهد ما يحدث فى المجتمعات الغربية من مشكلات جسمية ونفسية واجتماعية، بسبب الإباحة الجنسية، والتمرد علي الزواج، ومناهضة الأسرة، لغيَّر الكثير من أفكاره حول السفور والحجاب والاختلاط.

منهج مناقشة ادعاءات المناهضين للأسرة:

ودخول «بعض أدبائنا وكتابنا وعلمائنا» جحر الضب وراء علماء الغرب، فى نقد الزواج الشرعى والأسرة المسلمة، ودعوتهم إلى اقتداء

المرأة المسلمة بالمرأة فى الغرب فى الحرية والاستقلالية، دفعنا إلى مناقشة ادعاءات المتمردين على الزواج والمناهضين للأسرة فى الغرب بموضوعية، لبيان ما فيها من صواب وخطأ. ونأمل أن نكون مقنعين للباحثين العرب في إثبات أن الانتقادات التى توجه للأسرة فى الغرب، لا تنطبق على الأسرة المسلمة، لأن الزواج والأسرة فى الإسلام، يحكمهما تشريعات سماوية، تسمو بهما، وتجعلهما مصدراً للصحة الجسمية والنفسية للرجل والمرأة والأسرة والمجتمع، وأن التعدى عليهما فيه ضعف الأبدان، ووهن النفوس، وفساد المجتمع. وأن المطلوب ليس تعديل أو تطوير هذه التشريعات، بل تطبيقها بالروح والكيفية التى يريدها الشرع.

وقد جعلنا هدف هذا الباب[١] مناقشة إدعاءات المتمردين والمناهضين للأسرة، متبعين فى ذلك منهج التنزُّل مع الخصم[٢] فنقبل إدعاءاته ونناقشها مناقشة منطقية، ونحتكم إلى نتائج الدراسات الأمبريقية Emperical studies، للتدليل على صحة فروضه أو عدم صحتها، ونبين ما فى دعواه من حق نؤيده، وما فيها من باطل نكشفه ونفنده، معتمدين فى ذلك على توجيهات الإسلام فى الزواج والتحصن، وعلى النتائج العلمية التى استخلصها الباحثون من الدراسات الميدانية على المجتمعات الغربية، التى طبقت هذه الدعوة، وباركتها خلال القرن العشرين.

ونتناول هذه القضية ونحن مدركون أن الدين والعلم، لا يختلفان حول الأمور قطعية الدلالة في قضية الزواج والأسرة. فالحقيقة العلمية الصحيحة – كما قال الشيخ حسن البنا[٣] –يرحمه الله– لا تصطدم بالقاعدة الشرعية الثابتة، ونؤول ما هو ظنى فى العلوم الشرعية، ليتفق

مع الحقيقة العلمية الصحيحة، ونؤول ما هو ظنى فى علوم النفس والتربية والاجتماع، ليتفق مع ما هو قطعى الدلالة فى العلوم الشرعية. أما إذا كان الأمر ظنيا فى العلوم الشرعية والعلوم العقلية، فالنظر الشرعى أولى بالاتباع، حتى يثبت النظر العقلى أو ينهار (النبا، ١٩٨٧: ١١).

ونظراً لصعوبة الفصل بين مظاهر التمرد على الزواج ومناهضة الأسرة التقليدية فى الدراسة، فقد رأينا البدء بمناقشة الإباحة الجنسية وعلاقتها بهدم الزواج التقليدى فى الفصل التاسع، ثم التمرد على الزواج وإجراءاته وعلاقتها بهدم الأسرة التقليدية فى الفصل العاشر، وأخيرا مناهضة الأسرة التقليدية وعلاقتها بالوهن النفسى للرجل والمرأة ودورها فى تفكك المجتمع فى الفصل الحادى عشر.

الهوامش:

(١) فكرة هذه المقدمة كانت إطارا نظريا لبحث نشرناه عن موقف الإسلام وعلم النفس من التمرد على الزواج، وقد نقحناها وأضفنا إليها ما يناسب موضوع الباب الثالث من الكتاب. لمزيد من المعلومات يرجع إلى:

مرسى، كمال إبراهيم (١٩٩١) موقف الإسلام وعلم النفس من التمرد على الزواج. **مجلة دراسات**، المجلد ٥ العدد ١٩ ص ١٢١ – ١٥٤.

(٢) إتبع هذا المنهج سيدنا إبراهيم عليه السلام فى دحض ادعاءات قومه فى عبادة الكواكب. قال تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [الأنعام: ٥٧–٧٩].

فقد قال سيدنا إبراهيم هذا على سبيل الفرض، وإرخاء العنان فى التفكير، مجاراة لتفكير عبَّاد الأصنام والكواكبَ ليكر عليه بالإبطال، ويثبت أن الرب لا يجوز عليه التغيير والانتقال. وانتهى من مناقشة هذه الفروض إلى أن العقل يرفض عبادة الأرباب المتنقلة من حال إلى حال، أو من مكان إلى مكان. لمزيد من المعلومات يرجع فى ذلك إلى:

مخلوف، الشيخ حسين محمد (١٩٨٧) **صفوة البيان لمعانى القرآن** (ط ٣). الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ص ١٨٠–١٨١.

(٣) العبارة كما جاءت فى « رسالة التعاليم » للشيخ حسن البنا « قد يتبادل كل من النظر الشرعى والنظر العقلى، مالا يدخل في دائرة الآخر، لكنهما لن يختلفا في القطعى. فلن تصطدم حقيقة علمية صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة. ويؤول الظنى منهما ليتفق مع القطعى، فإن كانا ظنيين، فالنظر الشرعى أولى بالاتباع حتى يثبت النظر العقلى أو ينهار » لمزيد من المعلومات يرجع إلى:

البنا، الشيخ حسن (ب ت). **رسالة التعاليم**. عمان: دار الفرقان ص ١١.

الفصل التاسع

الإباحية الجنسية وهدم الزواج(١)

مقدمة:

يوصف القرن العشرين فى أوروبا وأمريكا بعصر ثورة الجنس Sexual revolution فى العقد الثانى، وثورة الجنس الجديدة New sexual revolution فى العقد السادس من القرن العشرين، اللتين دعتا إلى النظر إلى الحاجة للجنس نظرة موضوعية، لا أخلاقية، واعتبار ممارسة الجنس كتناول الطعام، لا دخل للشرف أو العرض أو الفضيلة فيها، ورفع القيود عنها، وتشجيع ممارستها قبل الزواج (Williamson, 1979).

وقد تجاوب كثير من الشباب والشابات مع هاتين الثورتين، وأقبلوا على ممارسة الجنس من دون زواج، باسم الحب والرومانسية والحرية الشخصية (Johns, et, al. 1977). وتساهلت الأسر مع بناتها، وشجعت أولادها فى سنوات المراهقة على ممارسة الجنس قبل الزواج، بدعوى العصرية والمدنية، وأصبحت المواعيد الغرامية Dating بين الشباب والشابات عرفا سائداً، وتقليداً شائعًا، وعادات مألوفة، يُشجع المجتمع عليها، ويُنَشِّئ الأطفال عليها.

وضغط جماعات الأقران على الشباب لممارسة الغراميات، ومدحت الشاب الذى له غراميات متكررة ومتنوعة، ونبذت مَنْ لا غراميات له، ورماه أقرانه بالشذوذ والانحراف، وعنونوه بالذئب غير الأليف Lone wolf (O'Neill & O'Neill, 1972). وغدت كل فتاة تسعى إلى

إثبات ذاتها فى ممارسة الجنس مع الشباب، وتجد وجودها فى هذه الممارسة، فهى تكون أو لا تكون بحسب كفاءتها فى ذلك (Barton & Barton, 1983). وانتشر وجود شاب مع شابة فى شقة واحدة، يمارسان الجنس من دون زواج، وانطلق الأزواج يمارسونه مع العشيقات دون اعتراض من الزوجات، وأقبلت الزوجات على ممارسته مع العشاق دون اعتراض من الأزواج، ورضى المجتمع بممارسة الجنس للتسلية Sex for fun أو المتعة بموافقة الطرفين (Jansonik & Green, 1992: 197).

تفسير الإباحة الجنسية:

اختلف علماء النفس والتربية والاجتماع فى تفسير الإباحية الجنسية، التى نتجت عن ثورة الجنس الأولى والثانية، فالبعض عدَّها ظاهرة صحية فى الحياة العصرية الحديثة، ودعا إلى ممارسة الجنس من دون زواج. ونطلق على علماء هذا المنحى «**علماء ثورة الجنس**».

أما البعض الآخر من العلماء فقد عدّوا الظاهرة من الظواهر المرضية فى المجتمعات الحديثة، وأرجعوها إلى تصدع الأسر فى الحربين العالميتين، وخروج المرأة سافرة واختلاطها بالرجال، وحذروا من أخطار ممارسة الجنس من دون زواج على الصحة النفسية والجسمية وعلى بناء المجتمع، ودعوا إلى التمسك بنظام الزواج التقليدى، وعدُّوه النظام الأمثل للإشباع الجنسى وتكوين الأسرة، التى يجد فيها الرجل والمرأة فى كل زمان ومكان الإشباع الكريم لحاجاتهما الجسمية والنفسية والاجتماعية، ونطلق على علماء هذا المنحى «**علماء الإلتزام الخلقى فى الجنس**».

فروض الإباحية الجنسية :

ويعنينا فى هذا المقام تفسير علماء ثورة الجنس، الذين تأثروا بنظرية فرويد فى علم نفس الرغبات Pleasure psychology أو ما يسميه إريك فروم علم نفس الرغبة Psychology of want (Frommm, 1960) واستمدوا منها تفسيراتهم لطبيعة الحاجة إلى الجنس عند الرجل والمرأة، ودعوا إلى تيسير سبل الإشباع الجنسى لاسيما فى المراهقة والرشد . وافترضوا الآتى :

الفرض الأول : القيود التى يضعها المجتمع على الحاجة إلى الجنس فى مرحلة المراهقة والرشد مسئولة عن ارتفاع معدلات الشذوذ الجنسى بين الشباب، لأنها –من وجهة نظرهم – تعرض الشباب للحرمان، الذى يجعلهم متوترين قلقين، ويعرضهم للإحباط والصراع النفسى، ويدفعهم إلى ممارسة العادة السرية، واللواط عند الأولاد، والسحاق عند البنات، وغيرها من الانحرافات الجنسية والنفسية .

ونفترض فى ضوء هذا التفسير أن «إباحة ممارسة الجنس للشباب متى يشاءون ومع من يريدون من دون قيود، سوف تساعدهم على تخفيف قلقهم فى مرحلة المراهقة، وتحميهم من الانحرافات الجنسية (اللواط والعادة السرية والسحاق)، وتجعلهم سعداء بالمتع الجنسية، التى يحصلون عليها . ونتوقع انخفاض معدلات الانحرافات الجنسية بعد ثورة الجنس فى العشرينات، وثورة الجنس الجديدة فى الستينات من القرن العشرين، حيث مارس الذكور والإناث الجنس من بداية البلوغ، وبارك المجتمع غرامياتهم وشجعهم عليها .

لكن لم تؤيد الدراسات المسحية لمشكلات المراهقين والشباب فى المجتمعات الأوروبية والأمريكية صحة هذا الفرض، وجاءت نتائجها عكس ما كان متوقعًا، فقد أقبل الشباب على ممارسة الجنس من دون زواج فى القرن العشرين، ومع هذا ارتفعت معدلات الجناح والانتحار، وتعاطى المخدرات، والانحرافات الجنسية. ففى دراسة ألْفِرد كنزى A.Kinsey فى الأربعينات تبين أن ٩٠٪ من الأولاد و٦٢٪ من البنات يمارسون العادة السرية، و٦٩٪ من الراشدين يمارسونها وهم متزوجون (Williamson, 1972). وفى دراسة ثانية تبين أن ٨٣٪ من شباب الجامعة فى السويد (من سن ١٧ – ٢٣ سنة) يمارسون العادة السرية. وتبين فى دراسة ثالثة سنة ١٩٧٦ أن ٢٧٪ من طلبة الجامعات الأمريكية يمارسون اللواط والسحاق. وأشارت دراسة رابعة إلى أن ثلث الذكور وثمن الإناث فى أمريكا عندهم جنسية مثلية (Hoffman, 1977).

وتدل هذه النتائج على أن ممارسة الشباب للجنس من دون زواج لم تعالج مشكلاتهم الجنسية، ولم تخفف توتراتهم وقلقهم، بل أدت إلى انتشار الأمراض التناسلية بين الشباب. فقد كشفت دراسة على المراهقين فى الولايات المتحدة سنة ١٩٧٥ عن وجود ٩٢٥ ألف حالة سيلان، و٢٦ ألف حالة زهرى، و٣٠٠ ألف حالة التهابات جلدية فى الجهاز التناسلى. وكشفت دراسة أخرى سنة ١٩٨٧ عن أن ٥١٪ من المراهقين الذين يدخلون المستشفيات، يعانون أمراضًا ناتجة عن ممارسة الجنس، وأصيب ١٢ مليونًا من الأمريكيين سنة ١٩٨٧ بأمراض تنتقل بالممارسة الجنسية من دون زواج (Ingoldsly, 1995).

ومن المشكلات التى باتت تؤرق الآباء والأمهات والفتيات مشكلة الحمل فى مرحلة المراهقة من دون زواج. فقد كشفت الدراسات أن كل سنة تحمل سفاحًا واحدة من كل عشر فتيات، وتُجْرى ربع مليون عملية إجهاض لتلميذات فى الثانوى، ويُولد أكثر من نصف مليون طفل من أمهات مراهقات، بعضهم دون سن الثالثة عشر (Barton & Barton, 1983). ويلمس المرشدون النفسيون الآن ما تعانيه تلميذات المدارس الحوامل من توتر وقلق واكتئاب، لا من الناحية الأخلاقية بل مما يسببه الحمل لهن من متاعب نفسية، وصعوبات اجتماعية ودراسية. فحمل المراهقة سفاحًا يربك حياتها الاجتماعية، ويدفعها إلى ترك الدراسة، ويجعلها قلقة مكتئبة، ويفسد علاقتها بنفسها وبالناس، وقد يدفعها اكتئابها ويأسها إلى الانتحار، الذى بلغ معدله عند المراهقات الحوامل سبعة أضعاف معدله عند المراهقات غير الحوامل.

وهذا يعنى أن تفسير الانحرافات الجنسية عند المراهقين والراشدين بإرجاعها إلى القيود التى يفرضها المجتمع على الجنس تفسير خاطئ، والدعوة إلى إباحة ممارسة الجنس من دون زواج، ليس لها سند علمى، والإصرار عليها مغالطة قائمة على خطأ فى فهم طبيعة الدافع الجنسى عند الشباب. فالحاجة إلى الجنس عند الإنسان ليست من حاجات الاتزان الحيوى[٢] التى تُعَرِّض الشباب للحرمان فى حال عدم إشباعها، لأنها لا تنشأ عن نقص عضوى، بقدر ما تنشأ عن وجود طاقة تطلب التصريف (موراى، ١٩٨٨)، وعدم تصريفها لا يسبب ألمًا. أما تصريفها فليس كتفريغ فضلات الطعام، التى لا يحتمل الإنسان تأجيل تفريغها عندما يمتلئ المستقيم بها، ولا يستريح إلا بقضاء الحاجة، ثم

تتراكم الفضلات وتزداد بمرور الوقت بعد قضاء الحاجة، ويظهر التوتر والألم من جديد، الذى لا ينتهى إلا بقضاء الحاجة ثانية وهكذا. أما الحاجة الجنسية فلا ينطبق عليها هذا التفسير، لأنها لا تتراكم ولا تزداد بفعل الهرمونات الجنسية فقط، ولا يسبب عدم تفريغها التوتر والألم، ولا يهدد حياة الإنسان، ولا يتحتم تفريغها فى ممارسة الجنس، بل يمكن تصريفها فى الرياضة والقراءة والصوم وغيرها من الأنشطة، التى فيها إعلاء للطاقة الجنسية وتصريفها فى أنشطة مفيدة.

وتختلف إثارة الجنس عند الإنسان عنها عند الحيوان، فهى عند الإنسان تعتمد على تنبيهات نفسية واجتماعية أكثر منها تنبيهات هرمونية (الأندروجين عند الولد والأستروجين عند البنت) وعند الحيوان تعتمد على تنبيهات هرمونية أكثر منها تنبيهات نفسية. بعبارة أخرى إثارة الجنس عند الحيوان ظاهرة هرمونية عضوية، وعند الإنسان ظاهرة نفسية اجتماعية، تعتمد بالدرجة الأولى على إرادته وفكره وتخيلاته وأحلامه وخبراته، والمنبهات البيئية التى يتعرض لها من قصص وأفلام وكتب واختلاط بالجنس الآخر وغيرها (موراى، ١٩٨٨).

ونخلص من هذه المناقشات إلى رفض التفسير الذى يرجع ارتفاع معدلات الشذوذ الجنسى فى مرحلة المراهقة والرشد إلى القيود التى يضعها المجتمع على إشباع الحاجة إلى الجنس

والتفسير الذى يقبله العقل، وتؤيده معارفنا العلمية هو أن الإشباع والحرمان فى الحاجة الجنسية عمليتان معقدتان، لا ينطبق عليهما ما

ينطبق على الإشباع والحرمان فى حاجات الطعام والماء والإخراج، لأن إثارة الحاجة إلى الجنس وإلحاحها تخضع لإرادة الإنسان وتفكيره، وظروفه النفسية والاجتماعية والصحية، أكثر مما تخضع لعمل الهرمونات الجنسية، وهى –أى الحاجة إلى الجنس– قابلة للتنظيم والإعلاء والإرجاء والتصريف من دون ممارسة للجنس، عن طريق ممارسة أنشطة رياضية وبدنية والصوم وإعفاف النفس.

وتشير نتائج الدراسات إلى أن إثاره الجنس وسلوكياته عند الإنسان تتأثر إلى حد كبير بظروف تنشئته الاجتماعية فى الصغر، وبالقيم الاجتماعية والدينية التى امتصها فى طفولته. فالشاب الذى نشأ فى أسرة متماسكة، وشعر بالأمن والطمأنينة والحب من والديه وهو صغير، لا ينحرف جنسيًا، ولا يضطرب انفعاليا فى المراهقة، ولا يطلب الجنس إلا بالزواج، ويسعى إلى تكوين أسرة مثل التى نشأ فيها، لأنه يثق فى نفسه، ومستعد لتحمل مسئولية الزواج والأسرة، مثلما فعل والداه.

أما الشاب الذى نشأ فى ظروف أسرية مفككة، وحُرَم من العطف والأمن والحب، وشعر بالتعاسة والشقاء فى طفولته، فيكون مهيأ للاضطراب والشذوذ الجنسى والقلق فى المراهقة والرشد، ويسعى إلى طلب الأمن والطمأنينة فى ممارسة الجنس بالعادة السرية، أو مع بالغين من الجنس نفسه، أو من الجنس الآخر، أو مع الأطفال أو الحيوانات، أو مع الأم أو الأخت أو الابنة وغير ذلك من الانحرافات التى لا تنتج عن إلحاح الحاجة إلى الجنس، بقدر ما تنتج عن ضغوط نفسية واجتماعية وثقافية، يتعرض لها الشباب فى الطفولة والمراهقة والرشد.

ويتفق علماء الالتزام الخلقى فى الجنس على إرجاع ثورة الجنس إلى تصدع الأسر فى المجتمعات الأوروبية والأمريكية فى الحربين العالميتين: الأولى والثانية، ثم أدت ثورة الجنس إلى زيادة التصدع فى الأسر، الذى أدى بدوره إلى زيادة فى ثورة الجنس.

وهذا التفسير يجعلنا نرجح أن المجتمعات الغربية عاشت من بداية القرن العشرين فى دائرة الفساد (**ثورة الجنس ← تصدع الأسرة ← ثورة الجنس ← تصدع الأسرة**). ولن تخرج منها إلا بتشجيع الشباب على الزواج التقليدى، الذى يبنى الأسر المتماسكة، التى يجد فيها الكبار والصغار الأمن والاستقرار. فالاستقرار الأسرى هو خط الدفاع الأول ضد ثورة الجنس، وما ينتج عنها من شذوذ وأمراض.

الفرض الثانى: ممارسة الجنس قبل الزواج تساعد على نجاح الزواج الرسمى: لأن مُمارسة الجنس فى المراهقة فضلاً عن تصريفها للطاقة الجنسية الملحة تنمى ثقافة الشباب الجنسية، وتكسبهم الخبرة فى التعامل مع الجنس الآخر، ويدرك كل منهم الكفاءة الجنسية للآخر. فإذا تزوج الشاب الفتاة التى مارس الجنس معها سوف يكون زواجًا ناجحًا وسعيدًا (Eiseer, 1970).

ويرتبط بهذا الادعاء ادعاء آخر يردده كثير من الباحثين العرب والمسلمين دون سند علمى، وهو «**عدم اختلاط الشباب فى الثانوى والجامعة يجعل عقولهم مشحونة بالمخاوف العاطفية نحو الجنس الآخر**، أما اختلاطهم فيحميهم من هذه المخاوف، ويساعد على إقامة علاقات اجتماعية سليمة بين الجنسين فى المراهقة والرشد، وينشر بينهم المساواة، والاحترام المتبادل، ويفهم كل منهم الآخر، فلا تكون البنت

بالنسبة للشاب شيئًا بعيدًا غامضًا، ولا يغدو الولد فى نظر البنت حيوانًا مفترسًا، ولا فارسًا خياليًا، فإذا تزوجا كان زواجهما ناجحًا سعيدًا» (وول، ١٩٥٢).

ونفترض فى ضوء هذين الادعائين أن الفشل فى الزواج والتعاسة فى الحياة الزوجية راجع إلى سوء التوافق الجنسى بين الزوجين، وجهل كل منهما بشخصية الزوج الآخر وبكفاءته الجنسية، ونتوقع أن يؤدى اختلاط الشباب فى الثانوى والجامعة، وتيسير ممارسة الجنس قبل الزواج إلى بناء أسر مستقرة، وإلى انخفاض معدلات الطلاق فى المجتمعات الغربية، التى طبقت الاختلاط فى مدارسها وجامعاتها، وباركت ممارسة الجنس من دون زواج أكثر من نصف قرن من الزمان.

لكن لم تتحقق صحة هذا الفرض وما ارتبط به من توقع، فقد أشارت نتائج الدراسات إلى إقبال الشباب على الاختلاط وممارسة الجنس من دون زواج، وفى الوقت نفسه انصرفوا عن الزواج الرسمى وتكوين الأسرة، وارتفعت معدلات الطلاق فى المجتمعات الأوروبية والأمريكية فى النصف الثانى من القرن العشرين عما كانت عليه فى النصف الأول، فقد كانت معدلات الطلاق فى ولاية كاليفورنيا الأمريكية ٩٪ سنة ١٩١٠ ارتفعت إلى ٥٠٪ سنة ١٩٧٣ و٦٣٪ سنة ١٩٩٠ (Ingoldsly, 1995, Barton & Barton, 1983).

كما تبين إمبريقيا (بعد التجريب) أن ممارسة الجنس فى المراهقة لا تشجع الشباب على الزواج، فقد رفض ٧٥٪ من الشباب الزواج من الفتيات اللائى مارسن الجنس معهم، وحملن منهم، وقبل ٢٥٪ منهم

الزواج ثم انفصل نصفهم بالطلاق خلال الخمس سنوات الأولى من الزواج (Barton & Barton, 1983. 274). وفى دراسة على ١٥٩٥ طالبًا فى الجامعة والثانوى، تبين أن ٩٨٪ منهم مارسوا اللقاءات الغرامية من مرتين إلى خمس مرات فى الأسبوع، وكان هدف غراميات ١٥٪ منهم الزواج فى المستقبل، و٨٥٪ المتعة واكتساب الخبرات والرغبة فى مسايرة الأقران (Williamson, 1972.172).

هذا يعنى أن الاختلاط ولقاءات الغرام وممارسة الجنس لم تساعد على الزواج الناجح وتكوين الأسر المستقرة. فقد أشارت الدراسات إلى ارتفاع معدلات الطلاق عند الشباب، الذين مارسوا الجنس معًا قبل الزواج (Ingoldsly, 1995).

يضاف إلى هذا ما كشفت عنه البحوث من آثار سلبية «لممارسة الجنس قبل الزواج» على الزواج التقليدى. فقد تبين أنها أدت إلى مشكلات تفوق المشكلات التى كان متوقعًا أن تعالجها. من هذه المشكلات انصراف كثير من الشباب عن الزواج، لاستمرائهم ممارسة الجنس من دون مسئوليات، وزيادة الصراعات والقلق عند بعض المراهقين، لعدم رضاهم عن أنفسهم، وشعورهم بالخطيئة من هذه الممارسات غير المقبولة أخلاقيًا، وزيادة حالات الاكتئاب والانتحار عند الفتيات بعد الحمل سفاحًا (Williamson, 1972).

كما بينت دراسات أخرى أن ممارسة الجنس قبل الزواج جعلت الرجال يتشككون بعد الزواج فى حمل زوجاتهم – ويتساءلون «هل حمل زوجتى منى أم من ممارسة الجنس مع آخرين قبل الزواج؟». وغدا مألوفًا

obeikandl.com

فى المجتمعات الغربية أن يسأل الزوج زوجته بعد الولادة «هل طفلك هذا منى أم من حمل سابق على الزواج؟». وقد يثق فى إجابتها أو لا يثق فيها، ويعيش فى شك من أمر طفله. مما أدى إلى فتور الروابط الزوجية، وضعف العلاقات بين الآباء والأبناء (Barton & Barton, 1983: 276).

الفرض الثالث: تسمية ممارسة الجنس من دون زواج حبًا: وهذه تسمية خاطئة، لأن الجنس والحب عمليتان مختلفتان. فالجنس لذة جسدية والحب عملية نفسية روحية. ويمكن ممارسة الجنس من دون حب، والشعور بالحب من دون ممارسة الجنس. ولا يجتمع الجنس والحب فى عملية واحدة، إلا بالزواج الرسمى. وهذا ما يجعل الإشباع الجنسى مع الزوجة (أو الزوج) إشباعًا صحيًا (Barton & Barton, 1983: 386) وأكثر إمتاعًا من ممارسته مع العشيقة، لأن الإشباع الجنسى مع الزوجة يجمع المتعة الجسدية والحب فى عملية واحدة (Carroll, 1969).

أما الإشباع الجنسى من دون زواج فليس فيه حب، لأنه لذة جسدية، ومتعة قصيرة الأمد، تنتهى بمجرد الحصول عليها. وقد تصاحبه رغبة فى الطرف الآخر قبل الممارسة، يسميها البعض حبًا، وهى ليست حبًا، أو هى حب زائف أو حب انتهازى Anaclitic love، يستخدم فيه أحد الطرفين الطرف الآخر فى إرضاء رغباته، وتسخيره لإشباع شهواته، وتحقيق ملذاته، ويرتبط به كلما كان قادراً على ذلك، وينصرف عنه إذا لم يقدر عليه (Williamson, 1972: 232).

ولا ينشأ الحب الحقيقى من ممارسة الجنس إلا بالزواج الرسمى، الذى يقوم على الإعجاب المتبادل، والجاذبية بين الطرفين، وتنمية علاقات

اجتماعية قوية لا تنفصم، فيها ثقة ومودة وتعاون، وتضحية من أجل الآخر، فيحب له ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه. وهذا لا يكون إلا فى الزواج.

موقف الإسلام من الحاجة إلى الجنس:

نظر الإسلام إلى الجنس نظرة موضوعية، وجاءت أوامره ونواهيه واقعية، تتفق مع طبيعة هذه الحاجة عند الإنسان، وتهدف إلى السمو بها، وتوظيفها فيما ينفع الرجل والمرأة، ويحفظ كرامتهما وعفتهما، ويحميهما من الانحراف والأمراض. فحث على الزواج ورغَّب فيه، وحرَّم الزنى والشذوذ الجنسى (العادة السرية[٣] واللواط والسحاق) وحذّر منهما ومن كل السلوكيات التى تقرب منهما.

وقد أثبت علم النفس الحديث بالدليل العقلى والتجريبى أن أوامر الله ونواهيه فى تنظيم هذه الحاجة، فيها تنمية للصحة النفسية والجسمية للذكر والأنثى، وحماية لهما من الانحراف والأمراض، وجاءت نتائج الدراسات تثبت أن إشباع الحاجة إلى الجنس بالزواج فيه إمتاع للزوجين، وتكريم لهما، وتزكية لنفسيهما (Barton & Barton, 1983: 386 -: 304). وبينت الدراسات أيضًا أن تحريم الزنى والشذوذ الجنسى ليس فيه مشقة على الإنسان، الذى يستطيع أن يمتنع عن الجنس دون أن يشعر بألم الحرمان، ولا يتعرض للتوتر والقلق، لأن الحاجة إلى الجنس ليست من حاجات التوازن الحيوى، التى يؤدى الحرمان منها إلى الألم والتوتر، ويهدد حياة الإنسان. فالله سبحانه يريد بنا اليسر، ولا يريد بنا العسر، وهو سبحانه يعلم طبيعتنا، وحدود

طاقتنا، فأمر بما هو ميسر لنا جميعاً. قال تعالى: ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وخضوغ إثارة الجنس لإرادة الإنسان وتفكيره، يجعل من الممكن إعلاء الطاقة الجنسية بتصريفها فى الرياضة والصوم وعفة النفس، إذا لم يقدر على الزواج. ويتضح من هذه النتائج الحكمة فى قوله تعالى: ﴿ **وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾ [النور: ٣٢]. وفى توجيه الرسول عليه الصلاة والسلام للشباب فى الحديث الشريف «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء**» (رواه الجماعة). ففى الآية الكريمة والحديث الشريف دعوة لإعلاء الطاقة الجنسية، وتصريفها فى أعمال فيها إعفاف ووقاية للإنسان من الانحراف.

وقد حرم الله الزنى والشذوذ الجنسى بأشكاله المختلفة تحريمًا قاطعًا، لما فيهما من وهن فى النفوس والأبدان وإفساد للمجتمعات وانحرافات وأمراض، علمناها أو لم نعلمها. ولعل ما كشف عنه علم النفس والطب من انحرافات وأمراض يبين لنا الحكمة فى قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً** ﴾ [الإسراء: ٣٢] والحكمة فى تغليظ عقوبة الزانى والزانية، وعدم الرأفة بهما. قال تعالى ﴿ **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ** ﴾ [النور: ٢].

وأوضح الرسول عليه السلام أن الزنى ينقض الإيمان. فالزانى ليس مؤمنا حتى يتوب توبة نصوحًا، فيعود إليه الإيمان بالله. وهذا يعنى بلغة

علم النفس الحديث أن الزنى ينقص الصحة النفسية، ويسبب مشكلات وأمراض عديدة، ولا تعود الصحة النفسية إلى الزانى أو الزانية، إلا إذا أقلعا عن هذه الرذيلة. قال عليه الصلاة والسلام: «**إذا زنى العبد خرج منه الإيمان، فكان كالظلة على رأسه، فإذا أقلع رجع إليه الإيمان**» (رواه الترمذى). أى رجعت إليه صحته النفسية، التى ترتبط بدرجة إيمانه. وقال عليه الصلاة والسلام: «**إياكم والزنى فإن فيه أربع خصال: يذهب البهاء من الوجه، ويقطع الرزق، ويسخط الرحمن، ويسبب الخلود فى النار**» (رواه الطبرانى).

وقد بين الإسلام أن الشذوذ الجنسى لا يقل خطورة عن الزنى، وجاءت نتائج الدراسات العلمية تؤيد خطورة هذا الشذوذ على الفرد والمجتمع. وكان انتشار مرض الإيدز فى القرن العشرين وارتباطه باللواط والسحاق، دعوة لنا للتأمل فى حكمة الإسلام من تحريم هاتين الفاحشتين، وتحذيره من الأمراض والانحرافات التى تنتج عنهما. قال تعالى مخبرا عن سيدنا لوط عليه السلام: ﴿**وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ**﴾ [الأنبياء: ٧٤] وقال رسول الله ﷺ: «**أخوف ما أخاف عليكم عمل قوم لوط**» ولعن من فعل فعلهم ثلاثًا، فقال: «**لعن الله من عمل عمل قوم لوط، لعن الله من عمل عمل قوم لوط لعن الله من عمل عمل قوم لوط**» (رواه ابن ماجة). وقال عليه الصلاة والسلام منبئًا بطاعون القرن العشرين «**لم تظهر الفاحشة فى قوم قط، حتى يعلنوا بها إلا فشى فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا**» (من حديث رواه ابن ماجة والحاكم).

obeikandl.com

الهوامش:

(١) موضوع هذا الفصل كان جزءاً من موضوع بحث عن « موقف الإسلام وعلم النفس من التمرد على الزواج » نشرناه بمجلة دراسات سنة ١٩٩١ االمجلد ٥ العدد ١٩ ص ص ١٢١– ١٥٤ . وقد نقحناه وأضفنا إليه بما يناسب مكانه فى الفصل التاسع.

(٢) حاجات الاتزان الحيوى ناتجه عن نقص عضوى، وعدم إشباعها يسبب الألم والتوتر، ويهدد حياة الإنسان، . من هذه الحاجات: الطعام والماء والنوم والهواء وغيرها. ولمزيد من المعلومات يرجع إلى:

موراى ، ج (١٩٨٨) . **الدوافع والانفعالات**: ترجمة عبد العزيز سلامة. القاهرة: دار الشروق.

(٣) اختلف الفقهاء فى حكم العادة السرية (الاستمناء) فالشافعية والمالكية والزيدية عدوها حرامًا مطلقًا، فيها تعدى على حدود الله، ودليلهم قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٥ – ٧] وممارسة العادة السرية فيها ابتغاء وراء ذلك أى وراء الزواج.

أما الأحناف والحنابلة فذهبوا إلى تحريم ممارسة العادة السرية من أجل اللذة والمتعة، وعدم تحريمها إذا خيف الزنى. وأفتى الأحناف بوجوب ممارستها إذا خاف الشخص الوقوع فى الزنى. جريا على قاعدة « أخف الضررين ». وقال أحمد بن حنبل: لا حرج فى ممارستها إذا لم تكن للشاب زوجة أو أَمةَ، ولم يستطع الزواج، وخشى على نفسه الزنى.

أما على بن حزم فذهب إلى أن العادة السرية مكروهة ولا إثم فيها، وممارستها مكروهة لأنها ليست من الفضائل ولا من مكارم الأخلاق. وعلى هذا لا تعتبر ممارسة العادة السرية حراماً، إذا كان الشاب غير متزوج وغير قادر على الزواج أو الصوم، وخشى على نفسه العنت، أو الوقوع فى الزنى إذا لم يمارسها. فضرر العادة السرية أخف من ضرر الزنى. لكن من الحرام ممارسة العادة السرية مع الزواج، أو مع القدرة عليه والقعود عنه. ومن الحرام أيضًا المبالغة فى ممارسة هذه العادة واستمراء طلب اللذة الجنسية عن طريقها، ففيها أضرار نفسية وجسمية واجتماعية كثيرة. لمزيد من المعلومات يرجع إلى:

سابق، سيد (١٩٦٩)، **فقه السنة** (ج ٢) بيروت: دار الكتاب العربى، ص ٤٣٥ – ٤٣٦ .

القرضاوى، يوسف (١٩٨٠)، **الحلال والحرام** (ط ١٣) . بيروت: المكتب الإسلامى ص ١٦٦ – ١٦٧ .